وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية- كلية الآداب
قسم اللغة العربية

نصرة النبي(ﷺ) في شعر أبي طالب بن عبد المطلب(عليه السلام)

بحث تقدمت به الطالبتان:

ساجدة ناظم زغير

سجى محمد جواد

إلى مجلس قسم اللغة العربية/ كلية الآداب- جامعة القادسية

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها

إشراف:

أ.م.د. صلاح حسون جبار

٢٠١٩م ١٤٤٠هـ

الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

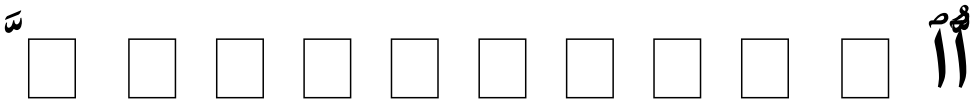

صدق الله العظيم

[الأحزاب: ٣٣]

الإهداء

إلى . . . الذي أشرقت السماوات والأرض بنور مولده ، الذي أُرسل هدًى ورحمةً للعالمين الذي أعطى للإنسان حريته وأعاد إليه كرامته ، الذي أخرج الخلق من ظلمات الجهل والكفر والضلالة . . . نبينا محمد ( )

إلى. . . أبي طالب سيد قريش وأحد رؤسائها وأبطالها المعدودين، ومن أبرز خطبائها العقلاء وحكمائها الأُباة، وشعرائها المبدعين. وقد حاز مع شرف النسب: شرف الطباع، ورجاحة العقل والحكمة، إلى جانب شجاعة الأبطال، وإباء الكرماء، وسماحة الأسخياء، وبلاغة الفصحاء.. فكان زعيماً مقدَّماً، مُهاب الجانب.

إلى . . . أنوار العلم والإيمان والهداية إليكم يا أهل البيت الكرام((عليهم السلام)

الى . . . من غرسا في نفسي حب العلم ، ولهما عليَ فضل لا يماثله فضل احد بعد الله (سبحانه وتعالى) أُمـــــي وأبـــــي (وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا)

إلى . . . عائلتي اللذين غمرتني إفضالكم وزادني اصرارا للنجاح دعمكم

* أصدقائي – أحبائي – زملائي – جميعاً •

نهدي اليكم جهدنا المتواضع ..

سجا وساجدة

الشكر والثناء

قال تعالى ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

﴿النمل/١٩﴾

قال الرسول محمد (ﷺ) (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

نتقدم بالشكر الجزيل لكل من وقف بجانبنا وشجعنا حتى اتمام هذا البحث ونخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور (صلاح حسون جبار) الذي اشرف على هذا البحث ولم يألُ جهدا في مساعدتنا فكان نعم المعلم والموجه.

الى كل من وقف بجانبنا وشجعنا وأخذ بيدنا حتى رأى هذا البحث النور

المحتويات

المقدمة ١-٢

التمهيد (حياة أبي طالب بن عبد المطلب(عليه السلام)) ٢-١٣

أولاً: اسمه ونسبه ٢

ثانياً: نشأته وأخباره ودوره في نصرة النبي ورسالته ٣-١٣

ثالثاً: وفاته ١٤

المبحث الأول

الدفاع عن النبي والتصديق بدعوته في شعر أبي طالب(عليه السلام) ١٥-٢٤

المبحث الثاني

مدح النبي في شعر أبي طالب (عليه السلام) ٢٥-٢٩

المبحث الثالث

هجاء المشركين انتصاراً لدعوة النبي في شعر أبي طالب(عليه السلام) ٣٠-٣٤

الخاتمة ٣٥

المصادر والمراجع ٣٦-٣٩

المقدمة

سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عمّا يَصفونَ وَسَلامٌ على المُرسَلينَ والحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ الذي نصر رسوله الامين بعمه الناصر لدين الله أبي طالب والد أمير المؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث فينا رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه ومن والاه الى يوم الدين، وبعد:

زخر زمن البعثة برجال عظام كانوا المثل الاعلى بالإيمان العميق بالله، والتضحية في سبيل اعلاء كلمة الحق، والعمل الصالح لخير البشرية، ففي حياتهم معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والصبر والايمان، فلم يخنق الزمن اصواتهم على مر العصور، ولم يمح الكلام اثارهم من الاذان على مر الدهور.

وتراثنا الادبي حافل بأولئك الشعراء، وفي مقدمتهم أبو طالب بن عبد المطلب (٨٥- ٣ ق.هـ)، (٥٤٠- ٦٢٠م) عم النبي (ﷺ) عاش في الجاهلية بروح الدين الحنيف نابذاً العادات والتقاليد الذميمة، مهتدياً بروح التوحيد، آمن بالله وبكتبه وبرسله وملائكته واليوم الاخر، وعندما بزغ فجر الاسلام كان أول من ناصر الدعوة المحمدية، وذاد عنها، وحمى صاحبها، ودافع عنه، واول من اثبت دعائم اركان الاسلام وصدع صوته مغردا في مسامع الدهر نشيدا ايمانياً صادقا خالدا من خلال ايمانه المبكر بنبوة ابن اخيه نور الهدى، فاعزَّ الله الاسلام بعمه أبي طالب اشرف رجال قريش وحاكم مكة ورئيسها، والبطل في مواقفه للإسلام في صفاء سريرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، ونبل اخلاقه، ولطف انسانيته، وعمق ايمانه.

وعلى هذا الأساس قسمت بحثي إلى تمهيد أتحدث فيه عن حياة أبي طالب، وثلاثة مباحث : أولها: (الدفاع عن النبي والتصديق بدعوته في شعر أبي طالب(عليه السلام))، أما البحث الثاني جاء بعنوان(هجاء المشركين انتصارًا لدعوة النبي في شعر أبي طالب(عليه السلام))، وانتظم المبحث الثالث بـ(هجاء المشركين انتصارًا لدعوة النبي في شعر أبي طالب(عليه السلام))، وختمت بحثي بخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد (حياة أبي طالب بن عبد المطلب(عليه السلام))

أولاً: اسمه ونسبه

هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر [١] وينتسب أبي طالب الى قصي بن كلاب من ذرية النبي ابراهيم (عليه السلام) و((كانت قريش وعامة ولد معد بن عدنان على بعض دين إبراهيم يحجون البيت، ويقيمون المناسك ويقرون الضيف، ويعظمون الأشهر الحرم، وينكرون الفواحش، والتقاطع والتظالم، ويعاقبون على الجرائم، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت))[٢].

وقسم قصي المهام الادارية بين أولاده من بعده، فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزة وحافتي الوادي لعبد قصي[٣]. وخلَّف عبد مناف من بعده هاشما وهو أول من سنَّ الرحلتين لقريش رحلتي الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وتولى الرئاسة والسقاية والرفادة[٤]. ثم تولى عبد المطلب بن هاشم الرئاسة والسقاية والرفادة بعد عمه المطلب، وكان شريفا في قومه مطاعا سيدا[٥]، و ((أحسن قريش وجها وأمدَّه جسما واحلمه حلما واجوده كفا وابعد الناس من كل موبقة تُفسد الرجال، ولم يره ملك قط إلا اكرمه وشفَّعه))[٦] ، و((قد اعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحدا من

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١٤٢/١، والسيرة النبوية لابن كثير: ١٦٧/١، وأنساب الاشراف للبلاذري: ٨٤/١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢١٧/١.

(٣) تاريخ اليعقوبي:١/ ٢٠٦.

(٤)ينظر:الكامل في التاريخ: ١٠/٢

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١٤٢/١.

(٦) الطبقات الكبرى: ٨٥/١.

آبائه، فجدد حفر بئر زمزم الذي كان على عهد نبي الله ابراهيم (عليه السلام) فاكرمه الله بسقاية زمزم))[1]، وكان يقول لابنه أبي طالب: «أي بني: قد أطعمت الناس فانطلق بهذه الجزائر، فانحرها على أبي قبيس حتى يأكلها الطير، والسباع، ففعل أبو طالب ذلك فأصابها الطير والسباع فقال أبو طالب:

من الطويل

ونُطعِمُ حتّى تأكلَ الطيرُ فَضْلَنا إذا جَعَلَتْ أيدي المِفيضِينَ ترْعَدُ[2]

وعبد المطلب «اول من تحنث بحراء.... وكان اذا أهلَّ هلال شهر رمضان، دخل بحراء فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر، ويطعم المساكين وكان يعظم الظلم بمكة، ويكثر الطواف بالبيت[3].

ثانياً: نشأته وأخباره ودوره في نصرة النبي ورسالته

كان ابو طالب من الموحدين[4] سنَّ «سُنناً نزل القرآن باكثرها، وجاءت السنة من رسول الله بها وهي: الوفاء بالنّذور، ومائة من الابل في الدية، وألا تنكح ذات محرم، ولاتؤتي البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤودة، والمُباهلة، وتحريم الخمر وتحريم الزناء، والحدَّ عليه، والقرعة، وألاّ يطوف احدٌ في البيت عرياناً، وإضافة الضيف، وألا ينفقوا اذا حجوا إلا من طيب اموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات...فكانت قريش تقول: عبد

(١) السيرة النبوية لابن كثير: ١٦٧/١- ١٧٤ ، (ذكر تجديد حفر زمزم.(

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢١٤/١.

(٣) انساب الاشراف: ٨٤/١.

(٤)ينظر :بلوغ المآرب في نجاة ابائه (صلى الله عليه وآله) وعمه أبو طالب: ١٢٩- ١٣٢.

المطلب ابراهيم الثاني[1]، «ورويعن رسول الله)صلى الله عليه وآله) قال: ((إن الله يبعث جدي عبد المطلب امة واحدة في هيأة الانبياء وزي الملوك))[2].

وأولاد عبد المطلب عشرة ومنهم :أبو طالب والزبير وعبدالله والد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وامهم ((فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم[3]، ((وكان أبو طالب امتداداً للسلالة الرفيعة من اجداد النبي(صلى الله عليه وآله)، والوارث لقيمهم ومواقعهم الاجتماعية والسياسية، ولعلو مقامهم، وعراقة اصلهم، وعظم كرمهم، يفتخر أبوطالب بهم قائلاً:

من المتقارب

فإنّا بمكّةَ قِدْماً لنا ... به العزُّ والخَطَرُ الأعظمُ

ومَنْ يَكُ فيها له عزَّةٌ ... حديثاً فعزَّتُنا الأقــدمُ

ونحنُ ببطْحائِها الرائسو ... نَ والقائدونَ ومن يَحكُمُ

نَشَأنا فَكُنّا قليلاً بها ... نُجيرُ وكُنّا بها نُطْعــِمُ

اذا عَضَّ أزْمُ السنينِ الأنامَ ... وحَبَّ القُتَارُ بها المُعدَمُ

نَمانَي شَيْبَةُ ساقي الحَجيجِ ... ومجدٌ مُنيفٌ الذُّرى مُعْلَمَ[4]

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٨/٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٠/٢،ينظر:الكافي: ١/ ٤٤٦- ٤٤٧.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير: ١٠٣/١.

(٤) الديوان: ٩٤ .

وأبو طالب عبد مناف تزوج من بنت عمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي[١]، وقد أنجبت من الذكور طالبا[٢]، وبه يكنى أبوه، وعقيلاً وجعفراً وعلياً، وكان بين واحد واخر عشر سنين[٣]، و((من الاناث ام هانيء، وجمانة، وريطة، وكان أبو طالب وسيماً جسيماً عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء، وكانت قريش تسميه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته، فهو شيخ قريش، وسيد البطحاء، ورئيس مكة))[٤]،كما كان أبوه يلقب بذلك وهو سيد قريش ورئيسها وحاكمها والمطاع فيها حتى هلك[٥].

لقد خلَف أبو طالب اباه في الزعامة للمزايا التي يتمتع بها من كريم الصفات، فألقت قريش امورها اليه، لأنها رأت فيه شيخاً ذا رأي وعقل وخبرة وحكمة واخلاق وقدر، فهو الذي تلجأ اليه في مهماتها، وتعتمد عليه في ملماتها، وهو المطاع الرئيس المهيب مع فقره فلم يسُد في الجاهلية احد إلا بمال غير أبي طالب[٦]، وعتبة بن ربيعة[٧]، فقد كان أبو طالب ((يبيع العطر، وربما باع البُر))[٨]،((في وقت كان ينظر أهل مكة قبل الاسلام الى أن شؤون السيادة بيد الاثرياء، ولكن خُلق أبي طالب، ورجاحة عقله، وكرم نفسه، وعفة ضميره، هيَّأته لأن يسود ويعلو رأيه اراء الاغنياء، ويخلف اباه في زعامة قريش فعهد اليه عبد المطلب بسقاية حجاج بيت الله الحرام، ثم سلمها أبو طالب الى اخيه العباس بن

---

(١) ينظر:مقاتل الطالبيين:2 –27 .

(٢)ينظر:الطبقات الكبرى: ١٢١/١

(٣) ينظر:المعارف: ٢٠٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٢٩/١.

(٥)ينظر:السيرة النبوية لابن هشام: ١٤٢/١

(٦)ينظر:تاريخ اليعقوبي: ١٠/٢

(٧)ينظر:الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣٢١/١.

(٨) المعارف: ٥٧٥.

عبد المطلب))[1] ،و((أبو طالب أول من سنَّ القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثم اثبتتها السُّنة في الإسلام))[2].

وجمع أبو طالب الى جانب السيادة والحكم والشرف وعراقة النسب: الحلم والادب، فـ«لقد قيل لأكثم[3] ممن تعلمت الحكم، والرياسة، والحلم، والسياسة؟ فقال: من حليف الحلم والادب، سيد العجم والعرب أبي طالب بن عبد المطلب[4].

وتشرَّب النبي محمد(ﷺ) من الاخلاق الكريمة التي نبعت من عبد المطلب وابنه أبي طالب، وكأن الله لما اختار رسوله من بني عبد المطلب اختار لتنشئته هذا العم الفاضل الذي «كان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا الى جنبه، ويخرج فيخرج معه وصبَّ به أبو طالب صبابة لم يَصَبّ مثلها بشيء قط [5] فقال في حبه للنبي محمد (ﷺ)

من الكامل

إنَّ الامينَ محمداً في قومهِ عندي يفوقُ منـازِلَ الأولادِ[6]

وكُلِّف وجدا بحب ابن أخيه الذي جُبِلَّ عليه فقال:

من الطويل

لَعمري لقد كُلِّفتُ وَجْداً بأحمدٍ واخوتِهِ دَأبَ المُحِبِّ المواصِلِ[7]

---

(١) أنساب الاشراف: ٥٧/١

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢١٩/١٥

(٣) ينظر : جمهرة انساب العرب: ٢١٠/١.

(٤) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٣٤.

(٥) الطبقات الكبرى: ١/ ١١٩.

(٦) الديوان: ١٣٠.

(٧) الديوان: ٨٣.

وعُني أبو طالب بابن أخيه فكان المربي والراعي والحارس والحافظ لوصية ابيه عبد المطلب، وكان من رقة أبي طالب عند النظر الى ابن أخيه تهمل عيناه شفقة ورحمة فقال:

من الكامل

فأرفَضَّ من عينيَّ دمعٌ مثلَ الجُمانِ مُفَرِّقُ الأفرادِ
ذارِفٌ راعيتُ فيهِ قَرابَةً موصولَةً وَحفِظتُ فيهِ وَصيّةَ الأجدادِ[١]

ان هذا الموقف يرتبط بيتم النبي(صلى الله عليه وآله) فهو اولى بالعطف والرحمة من غيره، ويبدو ان علّة بكاء عمه تعود الى ان يتمه يذكره بأخيه عبد الله والد النبي.

فقال:

من الطويل

ذَكرتُ اباهُ ثم رَقرَقتُ عَبرَةً تَجودُ على الخَدَّيْنِ ذاتَ سِـــجامِ[٢]

وقد هيّأت القوة الالهية كفالة أبي طالب لابن أخيه وان يعلم من امر نبوته قبل البعثة وبعدها، فبشرت به الكتب القديمة والصحف السالفة المدونة عن الانبياء والعلماء من الامم الماضية من صفاته والبشارة به، وذكره ملوك البلدان: اليمن وفارس والروم وتوقعهم لبعثته وهجرته[٣]، وحصلت ايات باهرة، ومعاجز

---

(١) الديوان: ١٦٤- ١٦٥.

(٢) الديوان : ١٦٦.

(٣)ينظر :دلائل النبوة لابي نعيم: ٣٢- ٥٢،

قاهرة للعادة قبل ولادته وبعدها[١]، وبشر سيفُ بن ذي يزن عبدَ المطلب بأن له من صلبه نور النبوة[٢] ، وبشره اهل الكتاب بذلك ايضا، فذكر ((أن اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبيُّ الامة)) [٣]يقصد النبي محمد (ﷺ) واوصى ابنه أبا طالب قبل وفاته قائلا ((يا أبا طالب ان لهذا الغلام لشأنا فاحفظه واستمسك به فانه فرد وحيد وكن له كالأب لا يوصل اليه بشيء يكرهه...يا أبا طالب ان ادركت ايامه فاعلم اني كنت من ابصر الناس ومن اعلم الناس به وان استطعت وإن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك فانه قريب سيسود ويملك ما لم يملك أحد من آبائي))[٤]

ولمعرفة أبي طالب ببركة ابن أخيه يخرج به في يوم قحط وجدب، ويطلب منه ان يلصق ظهره بالكعبة، ويفعل الصبي ما يأمره عمه ويلوذ باصبعه نحو السماء وما فيها آنذاك غيمة، فيهطل المطر، ويخصب الوادي، وتحيا الارض وتنتعش[٥]، فقال أبو طالب مستذكرا هذه الصورة بعد بعثة ابن أخيه:

من الطويل

وأبيضَ يُستَسقى الغَمامُ بوجهِهِ ربيعُ اليتـامى عِصمَةٌ للارامِلِ فهم
يَلوذُ بهِ الهُلاكُ من آلِ هاشِـمٍ عنـدهُ في نِعمَـةٍ وفَواضِـلِ[٦]

---

(١)ينظر: الانوار المحمدية من المواهب اللدنيّة: ١٣- ٢٣.

(٢)ينظر:الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢٥٠/١.

(٣) الطبقات الكبرى: ١١٨/١.

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٤.

(٥)ينظر:الخصائص الكبرى: ٨٦/١.

(٦) الديوان: ٧٥.

ولولا خاصّة النبوّة وسرّها لما كان مثلُ أبي طالب . وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها.يمدح ابن أخيه محمدا، وهو شابٌّ قد ربِّي في حِجره وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى اولادِه بمثل قوله:

من الطويل

وتَلقوا ربيعَ الأبطحينِ محمداً على رَبوةٍ من رأسِ عنقاءَ عيطَلِ
وتأوي اليهِ هاشِمٌ، إنَّ هاشِماً عَرانينُ كعبٍ آخرٌ بعـــدَ أوّلِ

...فهذا شعر أبي طالب، ذلك الشيخ المبجل العظيم في محمد (ﷺ)وهو شابٌّ مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد ربّاه في حجره غُلاما وعلى عاتقه طفلا، وبين يديه شابا، يأكل من زاده، ويأوي الى داره، علمت موضع خاصيّة النبوّة وسرّها[1].

ان ما يدل على ايمان أبي طالب وانعقاد قلبه بالإسلام تشجيعه لابن أخيه (ﷺ) في دعوته، وفداء نفسه دونه، ومعاضدته في معانقة كفه بكف النبي، وادل من ذلك ترغيب اولاده علي وجعفر لمؤازرة ابن عمهما محمد (صلى الله عليه وآله)، فذكر انه ((قال لعلي: أي بُنَي، ما هذا الدين الذي انت عليه؟ فقال: يا ابتِ آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصلَّيت معه لله واتبعته....قال {أبو طالب} له: اما إنه لم يَدْعك إلّا الى خيرٍ فالزُمه))[2]وانشد:

من الكامل

إنَّ الوثيقةَ في لزومِ محمـدٍ فاشدُدْ بصحبتهِ عليُّ يَدَيـكا[3]

---

(١)ينظر:الديوان: ٢١٤– ٢١٥،

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٧/١

(٣) الديوان: ١٧٠.

وأمر أبو طالب ابنه جعفراً أن يصلي مع النبي عندما كانا مارين في طريقهما ورأى النبي(ﷺ) وعلياً (عليه السلام) يصلّيان، فقال أبو طالب لجعفر ((صلْ جناح ابن عمِّك، فجاء جعفر فصلى مع النبي (ﷺ) فلما قضى صلاته قال النبي (ﷺ): يا جعفر وصلت جناح ابن عمك إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة))[1]، فانشد أبوطالب مسرورا:

من المنسرح

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي عندَ احتدامِ الأُمورِ والكُرَبِ

لا تخذلا وانصرا ابنَ عمِّكما أخي ابنَ أُمي من بينهم وأبي

واللهِ لا اخذلُ النبيَّ ولا يَخذُلُهُ من بَنيِّ ذو حَسَبِ

نحنُ وهذا النبي أُسرتُهُ نضربُ عنهُ الاعداءَ كالشُّهُبِ[2]

ويحض أبو طالب أخاه حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) على اتباع دين رسول الله (صلى الله عليه وآله) والصبر على طاعته، والثبات على دينه:

من الطويل

اصبرْ ابا يَعلى على دينِ احمدٍ وكُنْ مُظهِراً وفِّقتَ صابـــرا

وحُطْ مَن أتى بالدينِ من عندَ ربّــهِ بصدقٍ وحقٍّ لا تكن حَمْزَ كافِرا

فقد سَرَّني أنْ قلتَ إنكَ مُسلمٌ فكُنْ لرسولِ اللهِ في اللهِ ناصرا

وبادِ قريشاً بالذي قد أتيتهُ جِهاراً وقُلْ: ما كان احمدُ ساحرا[3]

((فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأى ان قد امتنع بهم وأن قريشا لن يعادوه معهم قال أبو طالب، وبادى قومه بالعداوة ونصب لهم الحرب)) [1]فأنشد:

---

(١) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢٥٠.

(٢) الديوان: ١٧١- ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥٣- ٢٥٤،

من المتقارب

مَنَعنا الرسولَ رسولَ المليكِ ببيْضٍ تلألأُ لَمْعُ البُـــرُوقِ

بضَرْبٍ يذِّببُ دون النّهابِ حِذارَ الوَتَايرِ والخَنْفَـــقِيقِ

اذبُّ واحمي رسولَ المليكِ حِمَايةَ حامٍ عليه شَفَـــيقِ

وما أن أدبُّ لأعدائه دَبيبَ البِكارِ حِذارَ الفَـنْيقِ

ولكن أزيرُ لهم سامتاً كما زارَ ليثٌ بِغيل مَضـــيْقِ[٢]

والمتأمل لشعر أبي طالب في حث بني هاشم وعبد المطلب على نصرة رسول الله(ﷺ) واعلان حمايته له، والذود عنه، وتصريحه بلفظ «رسول المليك» يجد أن هذه مداليل كلها تنصُّ على ايمان أبي طالب بما جاء به ابن أخيه من الحق تبارك وتعالى، فالقطعة القافية كفيلة بصحة اسلام أبي طالب فذكر ان الخليفة المأمون العباسي حين سمعها قال: ((اسلم أبو طالب والله بقوله... الابيات))[٣]

وكان أبو طالب في غاية الحنو فيما يحامي به رسول الله (ﷺ) واصحابه كما يتبين ذلك في صنائعه وسجاياه، فقد تألب الملأ من قريش على رسول الله واصحابه، واجتمعوا بعمه أبي طالب وعرضوا عليه عمارة بن الوليد بن المغيرة ان يكون ابنا له ويترك ابن أخيه محمدا لهم، ليقتلوه بعد شكواهم منه بانه سفه احلامهم وسب آلهتهم[٤].

---

(١) السير والمغازي: ١٤٨- ١٤٩.

(٢) الديوان: ١١١- ١١٢

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٤.

(٤)ينظر:السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٧/١

فقال أبو طالب ((والله بئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون ابدا... فقال المُطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قُصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك،... فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القومُ، وبادى بعضهم بعضا، فقال أبو طالب عند ذلك.يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم))[1]

من الطويل

ألا ليتَ حظِّي من حِياطَتِكم بَكْرُ ... يُرشُّ على الساقَيْنِ من بولِهِ قَطْرُ

من الجُوْن حَبْحَاب كثيرٌ رِغاؤه ... إذا ما علا الفَيفاءَ تحسبُهُ وَبْـرُ

ترى أخَوَينا من أبينا وأمِّنا ... إذا سُئلا قالا: إلى غيرِنا الأمرُ

بلى لهما أمرٌ ولكن تَرَجَّما ... كما رُجِمَتْ من رأسِ ذي الفَلقالصَّخرُ

هما غَمَزا للقومِ في أخَوَيْهما ... فقد أصبَحتْ كَفَّاهما وهما صِفـرُ

أخصُّ خصوصاً عبدَ شمسٍ وَنوْفَلاً ... هُما نَبذانا مثلما يُنْبَذُ الـجَمْــرُ

فأقسمتُ لا يَنفكُّ منكم مُحاذِرٌ ... يُحاذِرُنا ما دامَ من نَسْلِنا شَـفْرُ[2]

ومن أخبار نصرة للرسول (ﷺ) أن أبا طالب امر ابنه جعفراً أن يصلي مع النبي عندما كانا مارين في طريقهما ورأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلياً (عليه السلام) يصليان، فقال أبو طالب لجعفر ((صلْ جناح ابن عمّك، فجاء جعفر

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٧/١

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٧/١.

(٣) ديوان ابي طالب: ١٨٦– ١٨٧ .

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٩/١.

فصلى مع النبي (ﷺ) فلما قضى صلاته قال النبي (ﷺ): يا جعفر وصلت جناح ابن عمك إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة))[1].

وعندما رأى أبو طالب من بني هاشم وعبد المطلب من جدهم معه، وأجابوه الى ما دعاهم اليه مدحهم وذكر قديم فضائلهم، وما وقفوا من الحدب والنصرة لرسول الله)صلى الله عليه وآله) وذكر فضله فيهم، ومكانته منهم، ليشد بهم رأيهم فيه، وليحدبوا معه على امره[2]، فقال أبو طالب مادحا ومفاخرا:

من الطويل

إذا اجتمعت يوماً قريشُ لمفخرٍ ... فعبدُ مَنَافٍ سِرُّها وصَميمُهـــا

وإن حُصِّلَتْ أشرافُ كلِّ قبيلةٍ ... ففي هاشمٍ أشرافُها وقَديمُـــها

وإن فخرتْ يوماً فإنَّ محمدا ... هو المصطفى من سرِّها وكريمُها

تداعتْ قريشٌ غَثُّها وسمينُها ... علينا فلم تظفرْ وطاشَتْ حلومُها

وكُنَّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ... إذا ما ثَنَوا صُعْرَ الخدودِ نقيمُها

ونحمي حماها كلَّ يومِ كريهةٍ ... ونضربُ عن أحجارِها من يرومُها

بنا انتعشَ العودُ الذَّويُّ وإنَّما ... بأكنافِنا تَنْدى وتَنْمي أرومُـــها

هم السادةُ الاعلونَ في كلِّ حالةٍ ... لهم صرمَةٌ لايُستَطاعُ قُرومُهـــا

يدينُ لهم كلُّ البريةِ طاعةً ... ويُكرِمُهم ملأرضِ عندي اديمُـها[3]

---

(١) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢٥٠.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام :٢٦٩/١

(٣) ديوان أبي طالب: ١١٣- ١١٤

ثالثاً: وفاته

بعد أن أمضى ثلاث سنين في الشَّعبِ محاصراً مع النبي (ﷺ) ومن معه من بني هاشم وبني المطلب، ثم خروجهم من الشعب بتمزيق الصحيفة التي تعاهدت عليها قريش في الخبر المشهور الذي كانت فيه واحدة من معاجز نبينا الأكرم (ﷺ)، توفي الشيخ أبو طالب في السنة العاشرة للبعثة النبوية الشيفة وقبل الهجرة بثلاث سنين وقبله بأيام قلائل توفيت أم المؤمنين خديجة.

وتوفي عن بضع وثمانين سنة قضي العقد الأخير منها حاميا لرسول الإسلام ولرسالته بكل ما أوتي من منزلة وقوّة، فكانت وفاته بداية أيام عصيبة وشديدة على الرسول(ﷺ) والمسلمين أجمع ، والتي انتهت بهجرتهم جميعًا إلى المدينة المنورة[١].

وقد تحمّل أبو طالب رضوان الله عليه مع النبيّ ورهطه الهاشميين الحصارَ العسير في ((شِعب أبي طالب))، ولم يعرف رسولُ الله (ﷺ) حامياً له ولأصحابه مثلَه، فكانت وفاته ابي طالب لها الأثر البالغ على الرسول حتّى قال (ﷺ): ((ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب)).

مات أبو طالب في السنة العاشرة للبعثة[٢]، بعد ان كفل النبي وعضده ومنعه وقاوم رؤوس الشرك ضده، ووقف بجانبه زهاء اثنين واربعين عاما، وشَعَرَ رسول الله (ﷺ) بخسارة عمه، وفُقِد به نصيرا يفديه بنفسه واولاده، مدافعا عنه اذى قريش، وملجأ حصينا يلوذ به من المشركين المستبدين، فقال: «ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه حتى مات أبو طالب[٣].

---

(١) شعر أبي طالب وأخباره، أبي هفان عبد الله بن أحمد المهيري(ت ٢٥٧): ١١-١٢

(٢) ينظر: انساب الاشراف: ١/ ٢٣٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٤٦.

المبحث الأول

الدفاع عن النبي والتصديق بدعوته في شعر أبي طالب(عليه السلام)

فليس أدل على نصرة أبي طالب من حثه بني عبد المطلب على مؤازرة النبي (ﷺ) واتباع دينه ، وسروره بإسلامه، بدليل حديثه المروي عن ابن سعد قال:((ثمّ إنّ أبا طالب دعا بني عبدالمطّلب فقال: لن تزالوا بخيرٍ ما سمعتم من محمّد وما اتّبعتُم أمرَه، فاتّبِعوه وأعينوه ترشدوا))[1]، وإن سبب لجوء النبي محمد(صلى الله عليه وآله) الى عمه أبي طالب ؛ لأنه هو الحامي والمؤازر والناصر له ولدينه، وهذا ما يتبين من غضبه وصولته وحميته لنبي الله ولدينه، فأشاد «انت النبي محمد» وبين عراقة ارومته، وهو يتصدى لسادات الشرك، فلا يردعه رادع عن الحق شيئا قائلا ((انّى تضام ولم أمت))، فهو المتصدي لكل ما تتعرض له الرسالة، كما نلمح في النص سطوة أبي طالب وسيادته، وعظم قدره، وجلالة مكانته في قريش، لذلك لم يجرؤ أحد من قريش على مواجهته وهكذا اعز الله الاسلام ورسوله بناصر الدين أبي طالب.

ولما كان أبو طالب المجير لنبي الله، فهو مجير من اسلم من أصحاب النبي أيضا، فكان ممن دخل في جواره عثمان بن مظعون[2] وابو سلمة بن عبد الأسد[3]

فأما اجارة أبي طالب لعثمان بن مظعون فكانت بسبب إباء عثمان اجارة الوليد بن المغيرة، لما رأى ما في المسلمين من البلاء، وهو يروح ويغدو في امان الوليد، فردَّ عليه جواره، وحدثت مشاجرة بعد ذلك بينه وبين احد قريش، فلطمه في عينه، فأصابها[4] ، فغضب أبو طالب لعثمان وقال:

---

(١) سيرة ابن هشام ١:١٨٩

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/٥٨٩،

(٣) المصدر نفسه: ٣/٢٩٥،

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٢/٦٠- ٦١،

من البسيط

أمِن تَذكُّرِ دهرٍ غير مأمونِ ... أصبحتَ مُكتئباً تبكي كَمَحزونِ؟
أم مِن تذكُّر اقوامٍ ذوي سَفهٍ ... يَغْشَوْنَ بالظلمِ من يدعو الى الدِّينِ؟
لا يَنتهونَ عن الفحشاءِ ما أُمِروا ... والغَدْرُ فيهم سبيلٌ غيرُ مأمونِ
ألا يَرونَ . أذلَّ اللهُ جمعَهُمُ . ... إنَّا غَضِبْنا لعثمانَ بن مَظْعونِ؟
اذ يَلطِمونَ . ولا يَخْشَونَ . مُقلتَهُ ... طَعْناً دِراكاً وضَرباً غيرَ مَرْهونِ
فسوفَ نَجْزيهُمُ . إن لم يمُتْ . عَجِلاً ... كيلاً بكيلٍ جزاءً غيرَ مغبونِ
او ينتهونَ عن الامرِ الذي وقفوا ... فيه ويرضَونَ منَّا بعدُ بالدُّونِ
ونمنعُ الضَّيمَ من يَبغي مَضَامَتَنا ... بكلِّ مُطَّرِدٍ في الكفِّ مَسنونِ
ومرهفاتٍ كأنَّ الملحَ خالطَها ... يُشفَى بها الدَّاءُ من هامِ المجانينِ
حتَّى تُقِرَّ رجالٌ لا حُلومَ لها ... بعدُ الصعوبةِ بالإسماحِ واللِّينِ
او يُؤمنوا بكتابٍ مُنزَلٍ عَجَبٍ ... على نبيٍّ كموسى او كذِي النُّونِ
يأتي بأمرٍ جليٍّ غيرِ ذي عِوجِ ... كما تبيَّنَ في آياتِ ياسينِ[1]

إنَّ من إمارات صحة ايمان سيد البطحاء أبي طالب منعه للضيم الذي اصاب عثمان بن مظعون الصحابي فسرتها ابياته الشعرية في استذكاره ظلم مشركي قريش في الحاقهم الاذى به، والى من يدعو الى الدين الجديد وايمان أبي طالب بالانبياء والرسل وما نزل عليهم من الهدى ومنهم النبيين: موسى وذي النون ٨ وبما أُنزل من القرآن المجيد من الاستقامة التي بينتها آيات ياسين وبما استمده من التعبير القرآني من لفظ ودلالة وضمنها في شعره نحو قول الحق تبارك وتعالى «... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً))[2] ، وقوله ((قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ

---

(١) الديوان: ٩٤- ٩٥.

(٢) الجن/ ١.

))[1] التي تقرع اسماع المسلمين لكي يزدادوا هدىً وغير المسلمين ليهتدوا الى الحق فهذه مداليل كلها على صحة تصديق أبي طالب برسالة النبي محمد.

وعندما رأى ابو سلمة عبد الله المخزومي تعذيب مشركي قريش وما أرادوا ان يفتنوه عن دينه، فلم ير مفزعا له سوى خاله أبي طالب يستجير به، فمشى اليه نفر من رجال بني مخزوم، فقال احدهم: «يا أبا طالب، لقد منعت منّا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعُه منا؟ قال: انه استجار بي، وهو ابن أختي، وإنْ أنا لم امنع ابن أختي لم امنع ابن أخي [2] ، وهكذا كان عميد بني هاشم وعبد المطلب وليا وناصراً لرسول الله وأصحابه.

وإزاء تعذيب المشركين للمسلمين واضطهادهم كان رسول (ﷺ) يحث اصحابه الصبر على تحمل الاذى ورباطة الجأش على الصمود حتى يأذن الله بنصره، وقد اذن الرسول لأتباعه بالهجرة الى الحبشة، لتوافر الامن والحماية لهم في ظل ملك الحبشة وايد أبو طالب رأي رسول الله (ﷺ) وسانده، فبعث ابياتا شعرية لنجاشي الحبشة يحثه على اكرام المهاجرين المضطهدين والدفاع عنهم[3] فقال:

من الطويل

ألا ليتَ شِعْري كيفَ في النَّاي جَعفرٌ ... وزيدٌ واعداءُ العِدا والأقاربُ
وهل نالَ معروفُ النجاشيِّ جَعفراً ... وأصحابَهُ أمْ غالَهُ عنــهُ شاغِــبُ
تَعَلَّمْ بأنَّ اللهَ زادَكَ بَسطةً ... وأسبابَ خيرٍ كُلُّــها بــكَ لازِبُ
وأنَّكَ سَيْبٌ ذو سِجالٍ غزيرةٍ ... يعشُ بجدواكَ الطَّريدُ المُصَاقِبُ
وأنَّكَ عزٌّ . والمِلوكُ اذلَّةٌ . ... كريمٌ فلا يَشقى لديكَ المُجانِبُ[4]

---

(١) الزمر/ ٢٨.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٥
(٣)ينظر:السير والمغازي: ٢٢١.
(٤) الديوان: ٢٤٧

وما كان أبو طالب يطلب من النجاشي هذا الامر إلا لأنه ذو سمعة وشرف ومكانة يعلم بها النجاشي، وعندما وصلت هذه الابيات الى النجاشي احسن جوار المهاجرين، واجاد في ضيافتهم، مما اغرى أبا طالب ان يبعث برسالة اخرى يدعو فيها النجاشي الى الدخول في الدين الاسلامي الذي جاء به رسول الهدى فقال:

من الطويل

تَعَلَّمْ مَليكَ الحبشِ أنَّ محمداً ... وزيرٌ كموسى والمسيحِ بنِ مريمِ
أتى بهُدىً مثلَ الذي أتَيَا بهِ ... فكلٌّ بأمرِ اللهِ يَهْدي ويَعصِمُ
وإنكم تتلونَهُ في كتابِكم ... بصدقِ حديثٍ لا حديثِ التَّرَجُّمِ
وإنكَ ما يأتيكَ منَّا عصابَةٌ ... لفضلكَ ألا أُرجِعوا بالتَّكَرُّمِ
بذلتَ لهم عُرْفاً ولم تَبغِ عنهم ... فنلتَ بها حقّاً على كلِّ مُسْلِمِ
فلا تجعلوا للهِ نــداً وأسْلِـــموا ... فإنَّ طريقَ الحقِّ ليـسَ بمُظلِـمِ[1]

ولا يخفى أن ما يصدر من شيخ البطحاء أبي طالب من النصرة لنبي الله، واظهار دينه في دعوة النجاشي الى التوحيد، وحماية اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)،وعلمه برسالات السماء وما نزل فيها مداليل كلها على ايمان أبي طالب بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالإسلام دينا، وأن شعر أبي طالب كان له اثره البالغ في نفس النجاشي، فاسلم على اثره، وحسن اسلامه[2].

وبعد فشل مشركي قريش في اطفاء نور الاسلام، ثارت حفيظتهم حقدا ونارا ضد الدعوة وصاحبها، فاجتمع رؤوساء الشرك وعزموا رأيهم إن لم يخلِ أبو طالب بين قريش وابن أخيه، فعلى بطون قريش ان تقاطع بني هاشم وبني عبد المطلب، ولما كان أبو طالب مؤمنا بدعوة ابن أخيه، فانه لم يستجب لمطالبهم، ولم يعبأ بآرائهم، وانما اصرَّ على اعلان حمايته بنفسه، فلما رأت قريش رد أبي

---

(١) الديوان:259 .

(٢)ينظر:السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤١/١.

طالب، وأن اصحاب رسول الله(ﷺ) قد نزلوا الحبشة واصابوا بها امناً وسلاماً وقراراً في ظل ملكها النجاشي، وفشى الاسلام في القبائل، تحالفوا على مقاطعة بني هاشم في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله (ﷺ).

فجمع أبو طالب قومه من بني هاشم وعبد المطلب، وامرهم ان يدخلوا رسول الله شعبه، وأن يمنعوه ممن ارادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله ايمانا ويقينا ومنهم من فعله حمية[1] ، واعلن أبو طالب امام بطون قريش بانها اذا قتلت محمدا فان الهاشميين والمطلبيين سيقاتلون حتى الفناء، وقال يمدح النبي وينذر قومه عاقبة عدوانهم، ويحذرهم الحرب، وقطع صلة الرحم، وينهاهم عن اتباع السفهاء، ويعلمهم استمراره في مؤازرة النبي(ﷺ)وينبههم على فضله، ويضرب لهم المثل بناقة صالح، ويذكر امر الصحيفة، فقال:

من الطويل

ألا أبْلغا عنّي على ذاتِ بينِنا ... لُوَيّاً وخُصّا من لويٍّ بني كَعْبِ
ألم تعلموا أنَّا وجدنا محمدا ... نبياً كموسى خُطَّ في اولِ الكُتْبِ
وأنَّ عليهِ في العبادِ مَحبّةً ... ولا خَيْرَ ممن خصَّهُ اللهُ بالحُبِّ
وإنَّ الذي نمَّقتم في كتابِكم ... لكم كائنٌ نَحْساً كراغِيْةِ السَّقبِ
أفيقوا أفيقوا قبلَ ان يُحفرَ الثَّرى ... ويُصبِحَ من لم يَجنِ ذنباً كذي الذَّنبِ
ولا تَتبِعوا امرَ الغُواةِ وتَقْطعو ... أواصرنا بعدَ المودَّةِ والقُربِ
ا وتستجلِبوا حرباً عَواناً وربَّما ... أمَرَّ على من ذاقَهُ حَلبُ الحربِ
فلسنا ـ وبيتِ الله ـ نُسْلم احمداً ... لِعَزّاءَ من نَكْبِ الزمانِ ولا كَرْبِ
ولما تَبِنْ منّا ومنكم سَوالفٌ ... وأيْدٍ أترَتْ بالقساسيةِ الشُّهْبِ
بمُعتَرَكٍ ضَنكٍ ترى قصَدَ القِنا ... بهِ والنُّسورَ الطُّهْمَ يعكفْنَ كالشَّرْبِ
كأنَّ مُجَالَ الخيلِ في حَجَراتِهِ ... ومَعْمَعَةُ الأبطالِ معركةُ الحربِ
أليسَ ابونا هاشمٌ شدَّ أزرهُ ... وأوصى بنيهِ بالطِّعانِ وبالضَّربِ

---

(١)ينظر:السيرة النبوية لابن هشام1/ 350 -351 : ،

ولَسْنا نَملُّ الحربَ حتّى تَمَلَّنا ولا نشتكي مما نلاقي من النكبِ
ولكنَّنا أهلُ الحفائظِ والنُّـــهى إذا طارَ أرواحُ الكُماةِ من الرُعبِ[1]

والأبيات انفا واضحة وفصيحة افصح في ايمان وتصديق سيد بني هاشم وعبد المطلب، فيقين أبي طالب أن محمدا نبيٌّ كموسى خط في اول الكتب، وايمانه بكتاب الله المنزل على نبيه موسى (عليه السلام)، وقوله: «ولا خير ممن خصه الله بالحب» أي بما اختار محمد واصطفاه بالنبوة(ﷺ)

وبلغت عناية أبي طالب للنبي وحبه اياه أن يبذل نفسه واولاده واخوته وبني عمه دونه لحمايته وفي سبيل تقويم دينه، فاذا اضطجع ابن أخيه على فراشه، يأمر ابنه علياً ان يأخذ مكانه، خشية على حياة النبي من اعدائه[2]وفي ذلك قال أبو طالب:

من الخفيف

قد بَذلناكَ . والبلاءُ عَسِيرٌ . لِفداءِ النَّجيبِ وابنِ النجيبِ
لفداءِ الأغرِّ ذي الحَسَبِ الثّا قبِ والباعِ والفناءِ الرحيبِ
إنْ تُصبكَ المنونُ فالنبلُ يُبرى فمُصيبٌ منهاوغيرِ مُصيبِ
كلُّ حيٍّ وإن تَمـلأَ عَيـــشاً آخذٌ مـن سِهـامِها بذنــوبِ[2]

(١) الديوان: ٢١١- ٢١٣ ،

(٢)ينظر :البداية والنهاية في التاريخ: ٣/٨٤.

وهكذا استمر الحصار في شعب أبي طالب ثلاث سنين، ودخل الاسلام مرحلة جديدة من الكفاح والامتحان، وحين اشتد العسر والاذى جاء الفرج ودخل النصر الالهي فارسل الله حشرة الارضة على الصحيفة، فاكلت منها ما كتب فيها عدا ما كان فيها اسم الله، وتلقى النبي محمد (ﷺ) هذا النصر والمعجزة الدامغة على صدق نبوته، وتأييد الله له، فاخبر عمه أبا طالب وما حدث للصحيفة الظالمة، وهو لايشك في قوله، فتوجه أبو طالب والنبي وبنو هاشم الى البيت الحرام؛ ليحدثوا مشركي قريش بما أُخبر به رب العزة؛ وليؤكدوا لهم بدليل اخر نبوة محمد (ﷺ) واطلاعه على الغيب، فاجتمع الملأ من قريش، فقال لهم أبو طالب: ((إن ابن أخي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى، فأحضروها فإن كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذبا علمنا أنكم على حق وأنا على باطل فقاموا سراعا وأحضروها فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله، وقويت نفس أبي طالب واشتد صوته وقال قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة فنكسوا رؤوسهم))[1] فقال أبو طالب في شأن الصحيفة وما فيها من ظلم وقطيعة رحم:

من الطويل

وما ذنبُ مَنْ يدعو الى البرِّ والتقى ... وإنْ يستطعْ أن يَرْأب الشَّعْبَ يَرْأبِ
وقد جرَّبوا فيما مضى غِبَّ أمرِهم ... وما عالمٌ امراً كمَنْ لم يُجَرِّبِ
وقد كانَ في أمرِ الصحيفةِ عِبْرةٌ ... متى ما تُخبِّر غائب القومِ يَعْجِبِ
محا اللهُ منها كفرَهم وعُقوقَهم ... وما نقموا من صادقِ القولِ مُنجِبِ
فاصبحَ ما قالوا من الإفكِ باطلاً ... ومن يختلْق ما ليسَ بالحقِّ يُكْذَبِ
فامسى ابنُ عبد الله فينا مُصَدَّقاً ... على سَخَطٍ من قومنا غيرِ مُعْتبِ
فلا تحسَبونا مُسْلِمينَ محمدا ... لدى غُربةٍ منّا ولا مُتَقَرَّبِ
ستمنعهُ منّا يدٌ هاشميَّةٌ ... مُركَّبُها في الناسِ خيرُ مُرَكَّبِ

---

(١) الكامل في التاريخ: ٦١/٢ .

ألا والذي تَخدي لهُ كلُّ نِضَوةٍ طلائح جَنْبى نَخْلَةٍ والمُحَصَّبِ
يميناً صدقنا اللهَ فيها ولم نكنْ لنحلِفَ بُطلاً بالعتيقِ المُحجَّبِ
نُفارِقُهُ حتَى نُقتَّلُ حولهُ وما نالَ اسلامَ النبيَّ المُقرَّبِ[1]

إنَّ أبا طالب كان الدعامة الاساس، والقوى المؤثرة في توجيه مسار احداث الرسالة في نصرة صاحب الرسالة ومحاماته، بكل ما أوتي من قوة وعقيدة صحيحة افصحت عنها ابياته الشعرية، وهو يستنكر فعل طغاة الشرك في معاداة رسول الهدى(صلى الله عليه وآله) مخاطبا اياهم ((وما ذنب من يدعو الى البرِّ والتُّقى»، وتصديقه الطافح بالايمان بما جاء به)) فامسى ابن عبد الله فينا مصدقاً» فيما مضى والآن، وعلمه بغيب السماء، ومصدقاً بمعجزة الصحيفة:

»يمينا صدقنا الله فيها ولم نكن لنحلف بُطلا بالعتيق المُحجَّب«

ولهذا يجدد عهده له وللأسماع بأنه ماضٍ على نصرة نبي الله حتى فناء آخر واحد من قومه:

نفارقُهُ حتى نُصرَّع حوله وما بال تكذيب النبي المقرَّب

وهو مؤكد نبوته.

وعاد أبو طالب ومن معه الى مكة بعد انتهاء الحصار في شعب أبي طالب وفرج الله عن المسلمين والحامين لرسوله الكريم.

وبقي شيخ البطحاء و سيدها وعميد الهاشميين والمطلبيين والناصر لدين الله ورسوله يحضُّ على نصرة رسول الله في كلِّ وقت وعلى مساعدته في كل حين لكسب الصفوف الى جانبه، وبقي ناصرا قولا وفعلا حتى الساعات الاخيرة من عمره وهو يصرح بوصيته الى ابنائه واخوته تارة ولوجهاء قريش تارة اخرى.

---

(١) الديوان: ٢٢٩- ٢٣٠ ،

فمن وصاياه الخاصة وصيته لولده طالب بمؤازرة ابن عمه النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، فقال:

من الكامل

أبُنَيَّ طالبُ إنَ شيخَكَ ناصِحٌ فيما يقولُ مُسددٌ لكَ راتقُ
فاضربْ بسيفِكَ من ارادَ مساءةً حتّى تكونَ لدى المنيةِ ذائقُ
هذا رجائي فيكَ بعدَ منيّتي لازلتُ فيكَ بكلِّ رشدٍ واثقُ
فاعضد قواه يابُنَيَّ وكُنْ له إنّي بجَدِّكَ لا محالةَ لاحِقُ[1]

وقال يوصي وَلَدَه واخوتَه بنصرة النبي (ﷺ)

من البسيط

اوصي بنَصْرِ أمينِ اللهِ مَشْهَدَهُ بَعْدي: عليّاً وصِنْوَا الخيرِ عَبّاسا
وحمزةَ الأَسَدَ المَخشَيَّ صَوْلَتُهُ وجعفراً أنْ يذودوا دونَهُ النّاسا
كونوا ـ فدىً لكم أُمّي وما وَلَدَتْ ـ من دون احمدَ عند الرَّوْعِ أتراسا[2]

إنَّ وصية أبي طالب لاولاده طالب وعلي وجعفر واخويه حمزة والعباس (رضي الله عنهم) تعطي صورة واضحة عن ايمانه وتصديقه برسالة ابن أخيه، فقال: ((...أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاء بأمرٍ قبله الجَنَانُ وأنكره اللِّسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس أجابوا دعوته، وصدقوا كلمتَه وعظموا أمره، فخاض بهم غَمَرات الموت فصارت رؤوساء قريش وصناديدهم أذناباً ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظُمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد مَحَضَتْه العرب ودادَها، وأصْفَتْ له فؤادها، وأعطته قيادَها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم،

---

(١) الديوان: ٣٤٠.

(٢)الديوان: 246.

كونوا له ولاةً ولحزبه حُماةً والله لا يسلك أحد منكم سبيله، إلا رَشَد ولايأخذ أحد بِهدْيهِ إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير، لكففت الهَزَاهز، ولدافعتُ عنه الدَّواهي))[1].

في هذه الوصية أرجأ أبو طالب ((تصديقه باللسان الى هذه الاونة التي يأس فيها عن الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لانثيالهم عنه، المؤدِّي الى ضعف المُنَّة وتفكك القوة فلا يتسنى له حينئذ الذبُّ عن رسول الله (ﷺ) وان كان الايمان به مستقرا في الجنان من اوَّل يومه لكنه لما شعر بأزوف الاجل وفوت الغاية المذكورة ابدى ما اجنته اضالعه فأوصي بالنبي)) [2].

وما برح ابو طالب يوصي قومه بابن أخيه رسول الله (ﷺ) ففي اتباعه الخير والفلاح والرشاد [3] **حتى توفي.**

وقد دافع ابي طالب عن النبي الأكرم(ﷺ) بكل الوسائل التي توفر الحماية كي يتسمر في بث مبادئ رسالته ونشرها، ومنها لما قالت قريش لبني هاشم : اعطونا محمدًا حتى نقتله ، وتخيروا من أولادنا من شئتم لتربوه حتى نسلمه وأبلج ، فقال:

لنخرج هاشميا فيصير منها بلا قع بطن زمزم والحطيم

فمهلا قومنا لا تركبونا بظلمة لها أمر عظيم

فيندم بعضكم ويذل بعض وليس بمفلج أبدا ظلوم

فلا والراقصات بكل خرق إلى معمور مكة لا تريم

طوال الدهر حتى تقتلونا ونقتلكم وتلتقي الخصوم

---

(١) الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢٢٧/٢

(٢) الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٣٦٨/٧.

(٣) الخصائص الكبرى: ٨٧/١ .

ويرع حوله منا رجال وتمنعه الخؤولة العموم

ويعلم معشر ظلمة وعفوا بأنهم هم الخد اللطيم[١]

المبحث الثاني

مدح النبي في شعر أبي طالب (عليه السلام)

المدائح النبوية لون من ألون التعبير الفني يراد بها التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل رسول الله(ﷺ) والتغني بصفاته، وهي تصدر عن قلوب مفعمة بالإيمان الصادق لله ولرسوله[٢]، ومدح الحق تبارك وتعالى نبيه في التنزيل الحكيم: **[وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيْمٍ]**[٣]الذي تمثلت به مكارم الاخلاق التي ارتضاها العربي قبل الإسلام وبعده متمثلة بالخلق الرفيع الذي زاد عليه بالسمات الدينية.

وتعد مدائح أبي طالب لرسول الله النواة الأولى لنشأة المدائح النبوية، فمدحه بوقت مبكر قبل غيره من الشعراء[٤]، ومنها وجدت سبيلها إلى مديح الصفات الخَلقية، وهي ليست مدائح مادية لشخصية النبي بقدر ما هي مدائح لعظمة مكانته، وجليل قدره، وسمو رفعته بوصفه نبيا صاحب رسالة سماوية، أُرسل إلى الناس كافة بدين الهدى ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فرسم أبو طالب صورة جبينه في القصيدة الرائية حين افتقده وظن ان قريشاً قتلته[٥]، فقال:

{من الوافر}

أَيا اِبنَ الأَنفِ أَنف بَني قُصَيٍّ كَأَنَّ جَبينَكَ القَمَرُ المُنيرُ[٦]

---

(١) شعر ابي طالب وأخباره : ٥٩

(٢) ينظر:المدائح النبوية: ١٧– ١٨.

(٣) القلم/ ٤.

(٤) ينظر:المدائح النبوية: ١٩– ٢٥، ٢٩– ٤٦،

(٥) ينظر:الديوان: ٢٤٢– ٢٤٤.

(٦) الديوان: ٢٤٤.

فما يعنيه القمر من نور وسمو ورفعة هو شأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يكن المقصود بالجمال المادي فحسب، وهو كذلك أيضا عندما أجادت قريحة أبي طالب في كشف جمال وجه النبي بهاءً ونوراً في قوله:

{من الطويل}

أغرُّ كضوءِ البدرِ صورةُ وجههِ جلا الغيمَ عنهُ ضَوؤهُ فتوقَّدا[١]

وفي القصيدة اللامية التي أنشدها في الشِّعب الذي آوى اليه بنو هاشم مع رسول الله لما تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصحيفة[٢]، اشاد أبو طالب بحسن خلق رسول الله، فجماله فاق جمال اهل الدنيا، فقال:

{من الطويل}

لَعَمْري لَقَد كُلِّفتُ وَجداً بِأَحمَد وَإِخوَتِهِ دَأبَ المُحِبِّ المُواصِلِوَشيْناً

فَلا زالَ في الدُنيا جَمالاً لأهلِها لِمَن عادى وزَيْنَ المَشاكِلِ[٣]

ونعت ابو طالب طلعة الرسول البهية بشعلة النار المضيئة في يد حاملها في ضيائه، فقال:

{من الطويل}

حَزِيمٌ على جُلِّ الأمور كأنَّهُ شِهابٌ بكفِّي قابسٍ يتوقَّدُ[٤]

وهذه إشارة إلى الهداية التي جاء بها النبي (ﷺ) وللصفات، الخُلقية المعنوية التي يتحلى بها نبي الهدى الحظ الاوفر من شعر أبي طالب، فكان الرسول المقام العالي للخُلق الكريم، وما بعث إلا ليتمم مكارم الاخلاق، فمدحه أبو طالب بشرف النسب، وصدق القول، وشعيرة الكرم، والتجمل بالحلم إلى آخره.

---

(١) الديوان: ١٥٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٠- ١٩٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٧.

(٤) المصدر نفسه: ٩٠.

فمن القيم السامية التي يتشرف بها العرب عراقة النسب الزكي، وطهارة المنبت الطيب، وقد أشاد أبو طالب بهذه الفضيلة الكريمة لأصل الرسول(ﷺ) فهو فرع باسق في المجد من شجرة عتيقة الاصل في الحسب والنسب، خالص المنبت في طهارته وزكاته، فأحمد من أكارم بني هاشم وبني هاشم من أكارم وبنو عبد مناف، فقال:

{من الطويل}

وَإِن حُصِّلَت أَشرافُ عَبدِ مَنافِها ... فَفي هاشِمٍ أَشرافُها وَقَديمُهاهُوَ

وَإِن فَخرت يَوماً فَإِنَّ مُحَمَّداً ... المُصطَفى من سِرّها وَكَريمُها[1]

وزاد أبو طالب معاني إسلامية في مديحه لابن أخيه، فهو المصطفى الذي اختاره الله لأداء رسالته، ومديح رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يعني فخراً لأبي طالب بنفسه، فإن قلت هنا إنه مديح فلا بأس، وإن قلت فخراً فيمكن أن يكون.

وأثنى أبو طالب على ابن أخيه عندما تعرض لأذى عبد الله بن الزُّبعُرى السهمي، ونفر من رجال قريش فحمل عليهم أبو طالب، ومسح رؤوسهم بالفرث والدم، واصاب ابن الزُّبعُرى حتى ادمى انفه[1]، ثم قال: ((سألت من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه الى آدم عليه السلام، ثم قال: انت والله اشرفهم حياً وارفعهم منصبا)) أنت النبي محمد الطيب المنبت، الكريم النسب، من أصل عمرو بن عبد مناف الرجل الأوحد الذي هشَم الثريد لقومه بمكة أيام القحط[2]، فأضحى صنيعه من بعده سنة متبعة وهو يومىء إلى النبي قائلا:

{من مجزوء الكامل}

أَنتَ النَبِيُّ مُحَمَّد ... قَرْمٌ أَعَزُّ مُسَوَّدُ

لِمُسَوّدين أَكارِمٍ ... طابوا وَطابَ المَولِدُ

نِعمَ الأَرومَةُ أَصلُها ... عَمرُو الخِضَمُّ الأَوحَدُ

هَشَمَ الرَّبيكَةَ في الحِفا ... نِ وَعَيشُ مَكَّةَ أَنْكَدُ

---

(١) الديوان: ١٧٥.

فَجَرَت بِذَلِكَ سُنَّةٌ فيها الخَبيزَةُ تُثرِدُ[٣]

وذكر صفات جده بعد ما اجتمعت قريش والعرب على الاقرار بها، وهذا ما يحتاجه أبو طالب في مديحه للنبي(ﷺ) ، ونسبه ليس مجهولا في المجتمع القرشي، ولكن اراد أبو طالب الافصاح عنه لتبيين مكانته فيهم، ولان الله اصطفى نبيه من دون سائر خلقه لتكليفه بأعباء الرسالة، فأثنى الحق تبارك وتعالى بزكاة نسب الرسول، وكرم أرومته في قوله: **[وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِيْنَ]**[١] أراد في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى اخرج من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (عليه السلام)[٢]، وأشاد بزكاة أرومته ((أنا دعوة أبي إبراهيم ... نقلت من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات لم يمسسني سفاح أهل الجاهلية))[٣] فاقتضت كرامة الله ان يكون نبيه من أكرم شجرة وأشرف أرومه، وأفضل عترة، وخير الأُسر، فأودعه في النسب الهاشمي الزكي النقي، فتغنى أبو طالب بانتماء الرسول إلى النسب الهاشمي، فقال:

{من الطويل}

وَلَكِنَّهُ مِن هاشِمٍ في صَميمِها إِلى أَبحُرٍ فَوقَ البُحورِ صَوَافِ[٤]

ويجاهد أبو طالب نفسه وابنه علي (عليه السلام) في فداء النجيب وابن النجيب، فهو السيد الشريف في قومه، الكريم في أرومته، وكان كثيرا ما يخاف على رسول الله (ﷺ) البيات إذا عرف مضجعه فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه عليا مكانه له ، فقال له علي ليله: إني مقتول، فقال له أبو طالب شعرا [٥]

فقال:{من الخفيف}

---

(١) الشعراء/ ٢١٩.

(٢) ينظر:مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٠٧/٧.

(٣) الايضاح: ١٧٥.

(٤) الديوان: ١٧٧.

(٥) شعر ابي طالب وأخباره : ٧٤

قد بذلناكَ – والبلاءُ عسيرٌ – لِفداءِ النَّجيبِ وابنِ النَّجيبِ
لفداءِ الأغرِّذي الحسبِ الثّا قبِ والباعِ والفناءِ الرَّحيبِ[1]

وسجية الكرم خصلة اصيلة في طبع العربي تمثلها الشعراء في عصر قبل الإسلام[2]، وحث الإسلام على التحلي بها[3]، وقد تمثلت ملامح شخصية الرسول الخُلقية السامية بالكرم الذي ارتسم بانموذج الرجل الجواد، فمدح أبو طالب ابن أخيه حين اجتمعت قريش على خلافه، بأنه خير من وطيء الثرى ثقة وقت المحن والشدائد جوادُ بماله، فقال:

{من الطويل}

وما إنْ جنينا في قريشٍ سوى أنْ مَنَعنا خيرَ من
عظيمةً وطيءَ التُّربا[2]

وحين تظاهرت قريش على الرسول(ﷺ) انبرى لهم أبو طالب مادحا رسول الله (عليه السلام) فقال : من الطويل

إلا أبلغا عني على ذات نأيها لوَّيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العبادة محبة ولا خير ممن خصة الله بالحب[5]

(١) الديوان : ٢٢٠- ٢٢١.
(٢) ينظر:الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٨.
(٣) ينظر:نهاية الارب في فنون الأدب: ٣/ ٢٠٤- ٢٠٥.
(٤) الديوان: ١٨٣.
(٥) شعر أبي طالب وأخباره: ٧٢

المبحث الثالث

هجاء المشركين انتصاراً لدعوة النبي في شعر أبي طالب(عليه السلام)

الهجاء ظاهرة اجتماعية أُخرى لها وقعها المؤلم في نفس الخصم؛ لاقتصارها على ذكر مثالبه، وكشف عيوبه، وفضح مستوره أمام الناس، والهجاء مرهون بانفعالات الشاعر الحادة المتولدة من لحظات الغضب الشديد تجاه الخصم، ليضعف به معنوياته، وقد ارتدى فن الهجاء في قصائد أبي طالب ثوبا إسلاميا ناشئا من فكرة معاداة مشركي قريش للإسلام في رفضهم تمثل النبوة ببني هاشم حسدا وحقدا وبغضا(١)، فتصدى أبو طالب لمعارضي سادات قريش حول فكرة دفاعه عن العقيدة، متخذا شعره سلاحا لمواجة بطون قريش وساداتها(٢)، فكانت مواقفه الدفاعية للإسلام ومناهضة مواقف مشركي قريش المعادية هما الدافعان لقول الهجاء.

ومنه الهجاء الذي اناطه أبو طالب بأخيه أبي لهب الذي كان شديد العداوة للإسلام، وعظيم التكذيب والأذى لرسول الله (ﷺ) فقد لج في أمر الرسول الكريم، فأثار حفيظته، فحاول ابي طالب الحط من قدر أبي لهب، والتقليل من شأنه في كشف ما خفي من عيوب أمه الخزاعية(٣)، المدعوة بسمحج، ليحقق قدرا من الايلام لأخيه وهو يُعَرِّض بها، فقال: {من السريع}

---

(١) ينظر:أنساب الأشراف: ١/١٣٤.

(٢) ينظر: الديوان: ٧٦، ٧٧، ٨٠، ١٠٧، ١٢١، ١٧٨، ١٨٠، ٢٥١، ٣٣٩، ٢٤١.

(٣) أنساب الأشراف: ١/٩٠.

مستعرض الأقوام يُخبِرُهم غدري وما إنْ جئتُ من غَدْرِ
يكنى بسمْحَجَ إذ يخالفُنا ويجدُّ في النَّكراء والكفرِ
فاجعلْ سماحِجَ وابنَها غرضاً لِكرائم الأكفاء والصِّهْرِ
واسمعْ بوادِرَ من حديثٍ صادقٍ يَهْوينَ مثلَ جَنَادِلِ الصَّخرِ
صَمّاء ضافَ إليكَ عائرها إسلامنا لنوائبِ الدهرِ[1]

وهجاء الأخ لأخيه غير مألوف في الشعر العربي، لأن الأخ سند لأخيه في الشدائد والمحن والمصائب، ولكن موقف أبي لهب المعادي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأخيه الناصر لدين الله أبي طالب جعل الأخير يقف موقف الغاضب على أخيه؛ لأنه خيب أمله في نصرة ابن أخيه الرسول الكريم، واعان عليه اعداءه من طغاة الشرك، فدافع العقيدة هو الذي وجَّه الشاعر إلى هجاء أخيه، وشعوره الحاد كان حمية للإسلام في الدفاع عنه، فأفاضت قريحته بضربات مؤلمة ولاذعه في نفس المهجو، فعبر بصدق القول، فاصاب الحقيقة ووسم صاحبها بعار لا يجلوه الزمن، بخلاف الكذب والادعاء والافتراء الذي يمكن ان يجلو اثره على مر الايام، فيكشف زيف ادعاء الشاعر في المهجو .

في القصيدة الميمية يمدح بها أبا لهب طمعا في نصرة ابن أخيه رسول الله (ﷺ) ويحضه على نصرته[2]، فق{من الطويل}

جَزى اللَهُ عَنّا عَبدَ شَمسٍ وَنَوفَلاً وَتَيماً وَمَخزوماً عُقوقاً وَمَأثَما
بِتَفريقِهِم مِن بَعدِ وُدٍّ وَأُلفَةٍ جَماعَتَنا كَيما يَنالوا المَحارِما
أطاعوا ابن ذكوانٍ وقيساً ودَيسَماً فضلُّوا ودَقُّوا للملا عطْرَ مَنْشِما
كَذَبتُم وَبَيتِ اللَهِ يُبرى مُحَمَّداً وَلمّا تَرَوا يَوماً لَدى الشَّعبِقائِما[3]

(١) الديوان: ١٨٠.
(٢)ينظر:م.ن : ١٧٨.
(٣) ينظر:الديوان: ١٧٨.

استهل أبو طالب الهجاء بصيغة الدعاء، وهذا ما يتردد في شعره في هذا الموضوع[١]، وهو تمهيد جيد لكشف مكنونات انفعالات الشاعر في النص، فهو يتمنى ان يجازي الله الاحياء القرشية على اثامها وعقوقها، فعرَّاها عن الفضائل الجليلة واكساها بالرذائل المهينة في ارتكابها الاثم، والعقوق، وانتهاك المحارم في عزمها على قتل رسول الله (ﷺ) فصوَّر أبو طالب المهانة وهي لاصقة بابناء عبد شمس ونوفل وتيم، موقوفة عليهم، وكأن الشاعر يريد أن يقول بأن من يتصف بهذه الصفات ليس من سادات القوم، وانما من اراذلهم، ومن لم يكن سيدا لا يستحق ان يؤخذ برأيه في أمر خطير مثل قتل رسول الله (ﷺ)، وإمضاءً في اغاظة هذه البطون جعلها الشاعر تابعة ذليلة لرأي ابن ذكوان ((عُقْبَة بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد شمس، وأبو عمرو: اسمه ذكوان .... وقيس: هو قيس بن عاقل الخَولاني صاحب بني مخزوم، ودَيْسَم: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، ويقال: انه عبد يدعى بِدَيْسَم بن صَقْعَب))[٢].

فجعل أبو طالب البطون المذكورة آنفا تابعة لا متبوعة، فهم دون منزلة ابن ذكوان عقبة بن أبي مُعيْط، فقد ذكر ان أُمية قد سَاعَى أمَةً أو بَغَتْ أمَةٌ له، فحملت بذكوان، فاستلحقه بحكم الجاهلية، والأمة التي ولدته يهودية من صفورية بلدة في الأردن[٣]، وعندما أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتل عقبة بعد اسره يوم بدر، قال عقبة: ((أأقتل من بين قريش صَبْرَاً، فقال عمر: حَنَّ قِدحٌ ليس منها، يُعَرِّض بنَسَبه))[٤]،

وهذا تعريض واضح بنسب بني أُمية، ولهذا حذف ابن هشام البيت الثالث، فقال ما نصه: ((وبقي منها بيت تركناه))[٥]؛ لأن فيه تعريضا بذكوان جد الامويين، وهذا ليس طعنا في نسب عقبة فحسب؛ بل في نسب بني أُمية نفسها، مما جعل

---

(١)ينظر:م.ن: ٧٦، ٨٠، ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه : ١٧٩.

(٣) ينظر:الَّروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٩٣- ٩٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٩٣.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/١٥.

السُّهيلي يعلق على الطعن في نسب بني أُمية؛ ليهون عليهم هذه المذلة، فقال: ((عفا الله عن أمر الجاهلية، ونهى عن الطعن في الأنساب، ولو لم يجب الكفُّ عن نسب بني أُمية إلا لموضع عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، لكان حَرَى بذلك))[١].

فقد كان أبو طالب صادق القول، ينأى عن الكذب، ولهذا لم يستطع التاريخ أن يمحو أثر قوله، أو يدفع عن اصحابه وسمة العار في غمز نسب أمية، فوقع تعريض أبي طالب في المهجو على سبيل الازدراء والتنقيص، وهو أشد وطأة عليه؛ لأن ((التعريض أهجى من التصريح؛ لاتساع الظن في التعريض، وشدة تعلق النفس به، والبحث عن معرفته، وطلب حقيقته))[٢].

ومن سبل الهجاء الشكوى من الخصم، واخفاء فضائله المحمودة، وابراز ما خفي وظهر من عيوبه على نحو ما نجده في قصيدة أبي طالب الميمية، فقد اعتراه الهم والحزن فأرقه وسلب نومه[٣]، لظلم قريش له فخاطب أبو طالب قريشاً وهو يذكرهم ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشِّعب، فقال:

{من الوافر}

لِظُلمِ عَشيرَةٍ ظَلَموا وَعَقّوا ... وَغِبُّ عُقوقِهِم كُلاًّ وَخيمُ
هُمُ اِنتَهَكوا المَحارِمَ مِن أَخيهِم ... وَلَيسَ لَهُم بِغَيرِ أَخٍ حَريمُ
إِلى الرَحمَنِ وَالكَرَمِ اِستَذَمّوا ... وَكُلُّ فعالِهِم دَنِسٌ ذَميمُ
بَنو تَيمٍ تَوارثَها هُصيصٌ ... وَمَخزومٌ لَها منّا قَسيمُ
فَلا تَنهى غُواةَ بَني هُصيصٍ ... بَنو تَيمٍ وَكُلُّهُمُ عَديمُ
وَمَخزومٌ أَقَلُّ القَومِ حِلماً ... إِذا طاشَت مِن العِدَةِ الحُلومُ
أَطاعوا اِبنَ المُغيرَةِ وَابنَ حَربٍ ... كِلا الرَجُلَينِ مُتَّهَمٌ مُليمُ
وَقالوا خُطَّةً جَوراً وَحُمقاً ... وَبَعضُ القَولِ أَبلَجُ مُستَقيمُ

---

(١) الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٩٣.
(٢) العمدة: ٢/ ١٧٢– ٢٧٣.
(٣) ينظر :الديوان: ١٢١.

لنُخرِجَ هاشماً فيصيرَ منها بلاقعَ بطنُ زمزَمَ والحَطِيمُ
أَرادوا قَتلَ أَحمَدَ ظالِموهُ وَلَيسَ بِقَتلِهِ فيهِم زَعيمُ
وَدونَ مُحَمَّدٍ مِنّا نَدِيٌّ هُمُ العِرنينُ وَالأَنفُ الصَّميمُ[1]

هجا أبو طالب البطون المتزعمة في المجتمع القرشي الذين ينتمون إلى شجرة نسبه، فرماهم بالظلم والعقوق، وسوء العاقبة، لانتهاكم حرمة رسول الله(ﷺ)

واتهمهم أبو طالب بالطيش والخفة؛ لقلة حلمهم؛ وهذه النعوت المذمومة هي بخلاف خصائل السادات والزعماء الذين يمثلون عشائرهم، ومادامت هذه صفاتهم أراد أبو طالب أن يعطي حكما فيهم، بأن هذه الصفات لا تليق بمن يتزعم قومه، فإذاً لا يستحقون أن يكونوا زعماء، ومن ثمَّ فهم ليسوا أهلا لإبداء الرأي بشأن رسول الله وعشيرته؛ ليصغر من شرف مكانتهم، وفي هذا ذم موجه لهم.

ولكي يزيد الشاعر من حط اقدارهم، رماهم بسهم مؤلم، فجعلهم تابعين لرأي الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبي سفيان بن حرب اللذين كانا الممثلين لرؤوس الشرك، ويبدو أن ابن المغيرة وابن حرب هما اللذان أوحيا بفكرة الحصار والمقاطعة التي اغفلت عن ذكرها المظان التاريخية[2]وتغلي انفعالات أبي طالب فيلج إلى باب التهديد والوعيد بلهجة مستعلية ينقض على خصمه انقضاضا فاتكا[3].

(١) الديوان: ١٢١- ١٢٢، وينظر: جمهرة أنساب العرب: ٤٦٤/٢.
(٢) ينظر:الكامل في التاريخ: ٥٩/٢- ٦٠السيرة النبوية لابن كثير: ٤٣/٢- ٥٠.
(٣) ينظر:الديوان: ١٢٢.

الخاتمة

بعد الاستعانة بالله تعالى والاتكال عليه انهيت هذه الدراسة التي عُنيت بدراسة نصرة النبي (ﷺ) في شعر أبي طالب، وقد حاولت الكشف فيها عن معطيات تلك النصرة وبيان اثرها في رسالة النبي الأكرم (ﷺ) من خلال أخبار وأشعار ابي طالب ، وأما النتائج التي كشف عنها البحث فاستطيع إجمالها بالاتي، و هي:

- ❖ شعر أبي طالب شعر صريح يقيناً برسالة النبي (ﷺ) وبنبوته وامانته وصدقه والدفاع عنه ، وما بعث من الحق من ربه، من خلال الحديث عن كفالته لابن أخيه ورعايته له وهو صغير وتربيته وهو يافع، والوقوف الى جانبه ومؤازرته ومناصرته وهو كبير حتى وفاته، وهو يصرح بوصيته بنصرة النبي لاخوته وابنائه وعشيرته.
- ❖ كان أبو طالب الحامي لرسول الله (ﷺ) و المدافع عنه وعن أنصاره من المؤمنين؛ فقد وقف مدّة حياته الجليلة بوجه قريش يذبّ عن (ﷺ) ويؤكّد نصره إيّاه، ويُنذرهم ويهددهم إنْ هم تعرّضوا له بمكروه. وكان يحرّض بني هاشم جميعاً وأحلافهم من بني عبدالمطّلب على نُصرة النبيّ صلّى الله عليه وآله وتفديته بأنفسهم وأموالهم.
- ❖ إن الصلة الحميمة بين أبي طالب وابن أخيه غذت قريحته بقول الشعر في الاسلام، وأملت عليه لوناً جديداً لم يكن معهوداً من قبله وهو شعر نصرة الدعوة الاسلامية وصاحبها.
- ❖ أن أبا طالب افاض في مدح الرسول(ﷺ) في تعداد سجاياه المادية والمعنوية الصادرة عن قلب محب، ونفس معجبة، وروح مؤمنة، وعقيدة راسخة، وايمان قوي، وتصميم ثابت بالنبي ودعوته.
- ❖ أن أبا طالب لم يعنِ عناية كبيرة في رسم الملامح الخَلقِية في تبيين هيأة الرسول(ﷺ) المنظور إليها، وانما اكتفى باللمحة السريعة، ووجه عنايته حول بيان صفاته الخُلقية والقيم الدينية، فمدح مكارم الأخلاق التي تربى عليها العربي التي تجري على وفق ما كان مألوفاً عند العرب من انهم ينظرون إلى الأفعال التي تخلدهم، فضلا عن مدح الرسول بوصفه نبي الامة الذي بلَّغ رسالة السماء ونشر تعاليمها، فشخصيته تستحق الثناء والتبجيل.

المصادر والمراجع

(القرآن الكريم)

- أُسد الغابة في معرفة الصحابة- ابن الجوزي (عز الدين بن الاثير أبو الحسن علي بن محمد ت٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- إعلام الورى بأعلام الهدى- الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت٥٤٨هـ)، قدم له: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٣، الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
- أنساب الأشراف- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ)، تحقيق الجزء الاول: د. محمد حميد الله ضمن سلسلة ذخائر العرب (٢٧)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م، تحقيق الجزء الثاني: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي، بيروت- لبنان، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
- الانوار المحمدية من المواهب اللدنية- الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني، الميمنية، مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).
- الإيضاح – النيسابوري (الفضل بن شاذان الأزدي ت٢٦٠هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، د.ت.
- بحار الانوار – المجلسي (محمد باقر ت١١١١هـ)، تعليق: السيد جواد العلوي، والشيخ محمد الاخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د.ت).
- البداية والنهاية في التاريخ- ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ)، السعادة، مصر، ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م.
- بلوغ المآرب في نجاة آبائه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمه أبي طالب- الازهري (سليمان بن عمر بن منصور العجلي اللاذقي المصري الشافعي ت١٢٠٤هـ)، تحقيق: سامي الغريري، وزهراء اكاديمي، سيد الشهداء، طهران، ١٤٢١هـ.

- تاريخ اليعقوبي- اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي ت بعد ٢٩٢هـ)، تعليق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- جمهرة أنساب العرب- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ت ٤٥٦هـ)، الضبط: لجنة من العلماء باشراف الناشر : محمد علي بيضوي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب – ابن فخار الموسوي (أبو علي شمس الدين بن فخار بن معد ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: السيد محمد بحر العلوم، النهضة بغداد، الآداب، النجف، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.
- الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في معرفة خصائص الحبيب) – السيوطي، ط٢، المنير، العراق- نينوى، ١٩٨٤م.
- دلائل النبوة – أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت٤٣٠هـ)، النهضة، مطبعة بابل، بغداد، ١٩٧٧م.
- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام – بشرى محمد علي الخطيب، الادارة المحلية، بغداد، ١٩٧٧م.
- الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام – السُّهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي ت ٥٨١هـ)، ومعه السيرة النبوية لابن هشام، تعليق: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).
- السّير والمغازي- ابن اسحاق (محمد بن اسحاق المطلبي ت ١٥١هـ)، تحقيق: د.سُهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- السيرة النبوية – ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل الشافعي ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.
- السيرة النبوية – لابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السّقا، وإبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، العلمية، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

- شرح نهج البلاغة – لابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م.
- شعر أبي طالب وأخباره، أبي هفان عبد الله بن أحمد المهيري(ت ٢٥٧)،تح: قسم الدراسات الإسلامية– مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم ، ط١٤١٤،١هـ
- الطبقات الكبرى – ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ت٣٢٠هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب – الأميني (عبد الحسين أحمد ت ١٣٩٠هـ)، الزهراء، النجف، ١٣٦٩هـ.
- الكافي – الكليني (علي أكبر غفاري توفي في القرن الرابع الهجري) دار الكتب الإسلامية، ايران/ ١٣٨٨هـ .
- الكامل في التاريخ– ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ)، تعليق: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٣٨٧هـ – ١٩٨٧م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن– الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتيّ، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان،١٣٧٩هـ.
- المدائح النبوية – زكي مبارك، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م.
- المعارف– ابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، وزراة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، بيروت، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م.
- مقاتل الطالبيين– الأصفهاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ذوي القربى، ايران، قم، (د.ت).

📖 نهاية الأرب في فنون الأدب – النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ)، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ – ١٩٢٤م، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.